أ.د. محمد بركات البيلى *

بعض ملامح القرية فى مصر الإسلامية

القرية فى اللغة هى مصر جامع للمساكن والدور والضياع وتقع فى الريف الذى هو ما قارب الماء أو حيث تكون الخضرة والمياه[١] أو هى كل مكان متصل الأبنية يتخذه النـــاس قراراً، ومن ثم فاسم القرية فى دلالته التاريخية لا يقتصر فى العصر الإسلامى علـــى القريـــة بمفهومها الحالى ولكنه كان يطلق على القرية والمدينة معاً[٢]. ومن ثم فكم من ناحية ذكرهـــا بعض المؤرخين والبلدانيين على أنها قرى وذكرها البعض الآخر منهم على أنها مدن دون أن يعنى ذلك نمواً عمرانياً فى الأولى أو تدهوراً فى الأخرى.

ولقد كانت مصر الإسلامية مكتظة بالقرى التى كانت – على حد قول الاصطخرى – "على حافات النيل منظومة متكاثفة"[٣]. فأشاد بها الجغرافيون والرحالة حتى أن الجغرافى أبا عبيد البكرى – على سبيل المثال – يعد ضفتى النيل من الفسطاط إلى رشيد مـــن أعجـــب متنزهات الدنيا[٤]. ورأى الرحالة ابن جبير فى هذه المنطقة نفسها قرى متراصة على ضـــفتى النيل يمنة ويسرة لا تحصى كثرة ووجد العمارة متصلة والقرى منتظمة على طـــول طريـــق رحلته بمصر[٥] أما ابن فضل الله العمرى فقد رأى "بر مصر ريف ممتد بين حاجزين وعقـــد منظوم من القرى"[٦].

وقد بلغ عدد القرى فى مصر الإسلامية عند بداية القرن الثانى الهجرى مبلغاً عظيماً فقد قيل أنها أحصيت فى ولاية الوليد بن رفاعة – الذى تولى على مصر سنة ١٠٩هـــ/٧٢٧م

---

* أستاذ التاريخ الإسلامى –كلية الآداب – جامعة القاهرة

فبلغت أكثر من عشرة آلاف قرية[٧] لكن هذا العدد – إذا صح – تناقص تناقصا جسيماً فى القرون التالية حتى أن قرى مصر فى العصر الأخشيدى (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م) لم تزد إلا قليلا عن ربع هذا العدد الذى بلغته فى ولاية الوليد بن رفاعة، فقد نقل عدد من المؤرخين عن القضاعى أنه وقف على جريدة بخط الكاتب أبى عيسى بقطر بن شفا متولى خراج مصر للدولة الأخشيدية جاء فيها أن مجمل قرى مصر حتى سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م بلغ ألفين وثلاثمائة وخمسة وتسعين قرية منها تسعمائة وست وخمسون قرية بالصعيد وألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية بمصر السفلى[٨] ويبدو أن هذا العدد ظل ثابتاً لم ينقص فى العصر الفاطمى الأول إذ كان هو نفس عدد القرى الذى نقله المقريزى[٩] عن المسبحى الذى توفى سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٨م[١٠]، لكن عدد القرى فى مصر الإسلامية أخذ فى التناقص مرة أخرى حتى أن المؤتمن أبا المكارم سعد الله صاحب كتاب "الكنائس والأديرة" قدر عدد القرى فى مصر فى القرن السادس الهجرى بنحو ألفين ومائة وست وثمانين قرية[١١] أى أنها نقصت فى غضون قرن واحد بمقدار مائتين وتسع قرى ثم تناقصت فى القرن التالى وحتى نهاية القرن السابع الهجرى إلى ألفين واحدى وسبعين قرية[١٢] بمقدار نقص مائة وخمس عشرة قرية آخرى.

ولاشك أن تناقص أعداد القرى فى مصر الإسلامية كان نتيجة لخراب الكثير منها[١٣] وقد أرجع ابن ظهيرة خراب ما خرب منها إلى "الظلم وخراب الأرض"[١٤] أى أنه أرجع خراب تلك القرى إلى عوامل طبيعية وبشرية، ولعل أهم العوامل الطبيعية التى تسببت فى خراب قرى مصر الإسلامية هو انقطاع جريان الماء إليها فتفقد بذلك أساس حياتها وتصبح أثراً بعد عين[١٥] ومن ثم كان اهتمام المصريين كبيراً بتطهير المجارى المائية[١٦] لتمكين الماء من الوصول إلى كل النواحى، من ذلك – على سبيل المثال – ما روى عن تطهير مجرى خليج القاهرة وتجديد حفره فى سنة ٥٠٢هـ "بأبقار البساتين التى عليه فيحفر بأبقار كل بستان ما يحاذيه فإذا انتهى أمر البساتين عمل فى البلاد كذلك وأقيم له وال مفرد بجاميكية ومنع الناس أن يطرحوا فيه شيئا"[١٧].

أما العوامل البشرية التى تسببت فى خراب قرى مصر الإسلامية فمنها الظلم – على حد قول ابن ظهيرة ويعنى إرهاق أهل القرى بالمغارم التى تثقل كاهلهم مما يدفعهم إلى هجرة مزارعهم وقراهم، فعلى الرغم من ضبط الإدارة المالية فى مصر الإسلامية للجباية وعدم مغالاتها فى تقديرها فى أغلب الأحيان بل كانت تعهد إلى موازيت القرى ورؤسائها بتقدير ما

على قراهم من ضرائب وتلزمهم بحسن تقدير هذه الضرائب دون زيادة ولا نقصان على نحو ما يستدل عليه من أوراق البردى، وكانت الإدارة المالية لا تتعجل السداد فى حالة المسغبة وإنما تؤخر السداد إلى حين ميسرة حتى أن قرة بن شريك والى مصر زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك (٩٠-٩٦هـ) كتب فى سنة ٩١هـ إلى أهالى كل من قرية شبرا بسيرو وقرية شبرا أجيه وقرية هردس أبيرميوس وثلاثتهن من قرى كورة أشقوة بما عليهم من متأخرات جزية سنة ٨٨هـ لكن ذلك لم يمنع بعض الجساطيل أو الجباة من ظلم القرويين ظلما قد يدفع بعضهم إلى الفرار من قراهم مثلما فر مزارع من قرية ذات الساحل من ظلم الجابى ابن دشومة الذى أفقره بعد غنى ففر لا يلوى على شئ فلقيه أحمد بن طولون مصادفة وعرف شكايته فأنصفه وأمر له بما يمكنه من عمارة أرضه[١٨]، وكثيراً ما ثار المزارعون بسبب ظلم الجباة مثل ثورة أهل الحوف الشرقى وبطن الريف مراراً لأسباب خراجية[١٩] لاسيما الثورة العنيفة التى اندلعت فى خلافة المأمون سنة ٢١٥هـ ويبدو أنه فطن إلى أسبابها فعمر المقياس[٢٠] الذى كان أساساً لتقدير الخراج.

ومن العوامل البشرية لخراب القرى فى مصر الإسلامية نشأة قرى بديلة تحل محل القرى القائمة فيقبل الناس على سكنى القرية الناشئة ويهجرون القرية القائمة فتندثر مثل قرية العباسة التى نشأت فى العصر الطولونى وزاد عمرانها حتى أصبحت بلدة طيبة كثيرة المياه والأشجار ومتنزها من متنزهات مصر[٢١] وظلت متنزهاً سلطانياً حتى العصر المماليكى إلى أن بنى السلطان الظاهر بيبرس قرية بديلة أسماها الظاهرية وأنشأ بها جامعاً بخطبة سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٢م "فمن حينئذ تلاشى أمر العباسة"[٢٢].

ومن العوامل التى تسببت أيضا فى خراب القرى فى مصر الإسلامية ما نزل بها من الشدائد الاقتصادية خاصة العظمى منها - مثل الشدة المستنصرية - والتى كانت تنجلى عن غلاء ووباء كبير وتؤثر على القرى والمدن على حد سواء فتخربها وتهلك سكانها حتى أن عبد اللطيف البغدادى يذكر عن نتائج إحدى هذه الشدائد التى نزلت بمصر عند نهاية القرن السادس الهجرى أن "القرية التى كانت تشتمل على زهاء عشرة آلاف نسمة تمر عليا فتراها دمنه وربما وجد فيها - أناس - وربما لم يوجد فيها"[٢٣]. وإذا عرفنا أن مصر قد شهدت منذ الشدة المستنصرية عند نهاية العصر الفاطمى الأول وحتى نهاية القرن السادس الهجرى نوبات متلاحقة من الشدائد الاقتصادية والغلاء والوباء فلا عجب أن يتناقص عدد القرى المصرية

فى هذه الفترة على النحو الذى انتهى إليه عددها الذى سجله المؤتمن أبو الكارم صـــاحب كتاب تاريخ الكنائس والأديرة.

وقد فرضت طبيعة مصر وظروفها الجغرافية واعتمادها على نهر النيل كشريان رئيســى للحياة أن يكون نهر النيل محور تمركز القرى المصرية من ناحية وعاملاً حاكما لمواضع بنيان هذه القرى من ناحية أخرى فنظراً لفيضان النيل وتهديده للقرى "فقد شيدت قرى مصــر كلها على المرتفعات والتلول حتى لا تغرق"[٢٤] فإذا "فاض الماء وســاح وعــم الغيطــان والبطاح وانظم الناس إلى أعلى مساكنهم من الضياع والمنازل وهى على آكام وربى لا ينتهى إليها الماء ولا يتسلط السيل عليها"[٢٥]، فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا فى صغار المراكب وضفاف القوارب وزوارقه".

وفضلا عن الروابى والآكام والتلال الطبيعية فقد كانت بعض القرى تقوم على بعــض الكوم الصناعية أو تقوم على ما علا من ضفة النهر إذا وفر لها الموضع أمانا من خطر تهديد الفيضان لها[٢٦].

وكانت القرى فى مصر الإسلامية متفاوتة فى عمرانها من حيث البنيان والسكان، فمــن القرى ما اتسع بنيانها حتى ضمت كل قرية منها عدة مرافق كالمسجد الجــامع والســوق والحمام ومرافق أخرى على نحو ما ذكر ابن حوقل عن عديد من قرى مصر الإسلامية فقد ذكر – على سبيل المثال – أن قرية شبرو آلاو ضيعة كبيرة ذات ثــلاث حــارات كبــار (شوارع) كثيرة الأهل غزيرة السكان وبها حمام وجامع وقاضى وعامل ولها كــورة جليلــة واسعة"[٢٧] وذكر الادريسى نحواً من ذلك عن عديد من قرى مصر الإسلامية وأنهــا ذات أسواق ومتاجر ويعقد لبعضها أسواق فى أيام معلومة، فيذكر على سبيل المثال – أنه كــان لقرية قد قوس سوق يعقد يوم الأربعاء من كل أسبوع ولقرية دمسيس سوق يعقــد يــوم السبت وتجارة الثياب والأمتعة بها نافقة[٢٨] وقد مر ابن جبير فى رحلته بقرية برمة وقــال عنها قرية كبيرة فيها السوق وجميع المرافق "[٢٩]. وكانت المرافق العامة للقــرى المصــرية موضع عناية أولى الأمر خاصة دور العبادة فعلى سبيل المثال لما علم الوزير الفاطمى المأمون ابن البطائحى فى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م "أن جزيرة قويسنا ومنية زفتى ليس فيهما جــامع فتقدم إلى بعض خواصه وخلع عليه فسار وبنى جامعاً على شاطئ النيل بمنية زفتى وقرر فيه خطيباً وأماماً ومؤذنين وفرش وأطلق برسمه نظير ما للجوامع"[٣٠] ولما علم الوزير نفسه "أن

واحات البهنسا ليس بها جمعة تقام فأمر ببناء جامع بها ففرغ منه وأقيم فيه خطيب وإمام وقومه ومؤذنون وأطلق لهم ما هى عادة أمثالهم"[٣١]. ولم تقتصر العناية على الجوامع دون غيرها من دور العبادة بل امتدت أيضا إلى الكنائس التى كانت توجد ببعض القرى التى يقطنها نفر من النصارى[٣٢] فكانت تلك الكنائس موضع اعتبار عند تقدير الخراج وتخصص للنفقة عليها بعض الأفدنة[٣٣].

وكان لبعض القرى ذات النشاط المتميز مرافق خاصة تتميز بها عن غيرها من القرى، فعلى سبيل المثال كانت قرية مشتول كثيرة الطواحين[٣٤] حتى سميت مشتول الطواحين[٣٥] وكانت قريتا الصافية ودمى جمول المجاورة لها مختصتين بزراعة قصب السكر فكثرت بهما المعاصر ومعامل السكر[٣٦] أما قرية زفيته الواقعة على رأس الدلتا قبالة شطنوف – حيث يتشعب النيل ويتفرع عنه عدة خلجان – فقد كان لها مرفأ نيلى كبير ترسو فيه نحو مائة ونيف من مراكب الصيد التى يصطاد بها الحوت[٣٧] ووجدت بكثير من القرى معامل للفراريج تجرى فيها حضانة الفراريج بالزبل واتخذ كثير من القرويين من ذلك : صناعة ومعيشة يتجر فيها ويتكسب منها"[٣٨].

أما عن دور القرية وأبنيتها فى مصر الإسلامية فقد كانت تبنى غالباً من الطين[٣٩] أو الطوب اللبن[٤٠] ويصفها ابن فضل الله العمرى بأنها "مبنية بالطوب، سود الظاهر، يحف بها نخيل يقل فى بعض القرى ويكثر فى الأخرى، وكلها على نموذج واحد من رأى واحداً منها فكأنما رآها كلها"[٤١]. وكانت تلك الدور تسقف بأخشاب الجميز والسنط والنبق[٤٢] ولم تكن جميع تلك الدور تخص الفلاحين وحدهم بل كان بعضها ملكا لأفراد من ساكنى المدن، وكان بعضهم حريصاً على بقاء داره وتجديد عمارتها مثل الأمام الليث بن سعد الذى كانت له دار بقريته قلقشندة – وهى قرية– فى ريف مصر حسنة المنظر غزيرة الفواكه على ثلاثة فراسخ من القاهرة، وقد بنى الإمام الليث داره هذه ثلاث مرات إذ كان يبنيها كلما هدمها والى مصر الوليد بن رفاعة عناداً للامام[٤٣] بينما كانت ضيعة الامام نفسه بقرية ديبة – الواقعة بين فوة ورشيد – فكانت تدر عليه دخلاً كبيراً[٤٤].

كان الاتصال بين قرى مصر الإسلامية فى غير وقت الفيضان سهلاً ميسوراً أما فى شهور الفيضان الأربعة حينما "تصير القرى التى فى الأقاليم فوق التلال والروابى وقد أحاط بها الماء فلا يتوصل إليها إلا فى المراكب"[٤٥] فينتقل القرويون من قرية لأخرى فى صغار المراكب

وخفاف القوارب[٤٦] أو يسيرون على الجسوز الممتدة التى يصرف عليها – إذا خدمت كما ينبغى– ربع الخراج[٤٧] وقد رأى ناصر خسرو جسراً من الطين ممتداً على طول شاطئ النيل من أول البلاد إلى آخرها[٤٨] وكان كل جزء من هذا الجسر يسمى باسم الناحية أو القريـــة التى تشرف عليه[٤٩].

وتفاوتت أعداد السكان فى قرى مصر الإسلامية فكانوا ينقصون فى قرية ويزيـــدون فى أخرى تبعا لحجم القرية وعمرانها وأهميتها، يدل على ذلك تفاوت مقادير الجباية المربوطـــة على القرى من قرية لأخرى كما جاء فى أوراق البردى إذ كان على أهالى قرية شبرا يسيرو من جزية سنة ٨٨ هـــ ١٠٤ دينار بينما كان على أهالى شبرا أجيه من جزية نفس الســـنة ٣٧ دينار وهلم جرا. ويمكن القول إن الحد الأدنى لتعداد سكان أصغر قرية لم ينقص عـــن ألف وخمسمائة نسمة، يدل على ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم من أن رجال ابن رفاعة والى مصر أحصوا قرى مصر عند بداية القرن الثانى الهجرى "فلم يحصى فيها فى أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين يفرض عليهم الجزية"[٥٠]، والرجال المعنيـــون فى هذا الصدد "من جرت عليه المواسى" حسب تعبير ابن عبد الحكم نفسه[٥١]. فإذا قدرنا أن هؤلاء الذين جرت عليهم المواسى كانوا نحو ثلث سكان القرية وأن الثلثين الآخرين كـــانوا ممن لا تجب عليهم الجزية من الولدان والنساء، فإن سكان أصغر قرية لن يقل – كما ذكرنا – عن ألف وخمسمائة نسمة، أما الحد الأقصى لسكان القرية فيبدو أنه كان – حسب تقدير عبد اللطيف البغدادى – نحو عشرة آلاف نسمة[٥٢]، وعلى وجه العموم فقد كانت مصـــر مكتظة بالسكان حتى أن عمرو بن العاص نهى عن كثرة العيال[٥٣] وأشار ابـــن حوقـــل إلى خصوبة المرأة المصرية حتى أنها ربما ولدت "الولدين والثلاثة والأربعة فى بطن واحد يحمـــل واحد" وأضاف أنهم يبررون ذلك بأن ماءهم أنيث يريدون ماء النيل وفيه خاصية لذلك على قولهم "[٥٤].

وكان للقرويين فى مصر الإسلامية عادات خاصة بهم منها أنهم كانوا يتجهزون لشـــهور الفيضان الأربعة التى يحاصر فيها الفيضان قراهم فيقومون بتخزين كافة احتياجاتهم الضرورية اللازمة لحياتهم طيلة هذه الشهور الأربعة "ويخبز كل شخص فى الريف ما يكفيه من الخبـــز هذه المدة ويقدده حتى لا يعفن"[٥٥]، ويبدو أن هذا الخبز المقدد كان يسمى كعكعا فقد ذكر المقريزى أنه "عند فلاحيهم نوع من الخبز يدعى كعكا يعمل من جريش الحنطة ويجفف وهو أكثر أكلهم السنة كلها[٥٦].

واعتاد القرويون فى مصر الإسلامية أن يناموا على أسطح دورهم وقت القيظ[٥٧] وكان من عادات القرويين فى مصر الإسلامية الاغتسال فى النهر وكثيرا ما كانت ثيابهم تتعرض للسرقة من قبل المساحين – كما يسميهم النابلسى – الذين كانوا يمشون "على أطراف الشطوط يرتقبون من يتعرى ثيابه ويترل الماء ليغتسل فيمشى اللص كأنه مار فى شغله ويعبر على ثياب الذى نزل فى الماء فيأخذها ويمر كالبرق الخاطف فلا يلحق"[٥٨] وكانوا فى العصر الفاطمى لا يركبون الخيول[٥٩]. بل كان أكثر اعتمادهم على الجمال والحمير، إذ تساعدهم هذه الحيوانات على نقل أثقالهم وعلى عمارة أرضهم فقد كان فلاح قرية ذات الساحل المشار إليه فى العصر الطولونى يستعين على عمارة أرضه بحمار عوضه عنه أحمد بن طولون بعشرين ديناراً[٦٠] وأشار النويرى إلى أن القصب كان ينقل من المكسر إلى المعصرة على ظهور الجمال أو الحمير[٦١] وربما كان عدم ركوب القرويين الخيول فى العصر الفاطمى عادة اعتادوها منذ صدر الإسلام فى مصر وقت أن كانت غالبية القرويين من أهل الذمة الذين لا تسمح لهم أحكام الذمة بركوب الخيل فاعتادوا على ذلك حتى بعد تحول أكثرهم إلى الإسلام لاسيما وأن غلاء أسعارها لا يتناسب مع قدرة القرويين الشرائية ومستواهم المعيشى المنخفض.

وكان المزارع المقيم بالقرية يسمى فلاحاً قرارياً[٦٢]، لكن الفلاحين القرارية لم يكونوا وحدهم جل سكان القرى وإنما كان يقيم معهم فى القرية آناس آخرون منهم من كان من أصحاب الضياع كمارية القبطية التى كانت تقيم هى وأبناؤها بضيعتها بقرية طاء النمل وقامت بضيافة الخليفة المأمون العباسى على أحسن وجه حين مر على قريتها رغم استهانته[٦٣] بها وكان يقيم فى الضياع والبساتين التى بالقرى عمال يقومون على خدمتها والعمل بها كالوكيل والخولى والعمال والسياس والحرس وغيرهم، ويمدنا ابن مماتى فى قوانين الدواوين بالعديد ممن يباشرون أعمالاً داخل القرية كالوقافين الذين يحولون المياه إلى الأراضى التى تحتاج إليها والحراثين الذين يحرثون الأراضى والنجارين الذين يصنعون الآلات الزراعية والمساحين والقصابين الذين يقومون معاً بمسح الأراضى وقياسها والحايز الذى يكتب ما تحتويه الأجران ويمنع المزارعين من التصرف فيها قبل استيفاء ما عليهم[٦٤] وأغلب الظن أنهم كانوا يسكنون القرية إما سكنى دائمة أو موسمية على الأقل، وكان يسكن بالقرية أيضا بعض حفظة القرآن وصغار رجال العلم ممن يقومون على خدمة جامع القرية والخطبة فيه وغيرهم.

وإذا كان الفلاحون القرارية يحصلون على دخولهم مما تغله الأرض التى يزرعونها فقد كان عمال الضياع وأجراؤها يحصلون-على بعض أجورهم نقداً وعلى بعضها الآخر عينا بجزء من المحصول، وعلى الرغم من إشارة ابن مماتى إلى محاسبة العمال بأيام البطالة[٦٥] فقد كانت الدخول منحطة ومستوى معيشة القرويين منخفضاً[٦٦] ولذلك غلب عليهم سوء التغذية فلم يزد غذاء أهل صعيد مصر كثيرا عن التمر والحلاوة التى يصنعونها من قصب السكر بينما غلب على غذاء أهل أسفل الأرض القلقاس والجلبان، وكان كثير من أهل مصر يأكلون الألبان ومنتجاتها ويأكلون السمك طرياً ومالحاً[٦٧]: ويمدنا النويرى بوصف للطريقة التى كان القرويون يستخدمونها فى صيد الأسماك عند هبوط نيل مصر ورجوع الماء من المزارع إلى مجرى النيل إذ كانوا يسدون أفواه الترع وأبواب القناطر التى عليها حتى يتجمع الماء ثم ينصبون شباكا ويصرفون الماء إليها فيجتمع السمك بتلك الشباك فيخرج منها إلى البر ويجفف على نخاخ (حصر) ثم يملح ليؤكل مالحا أما ما كان يؤكل منه طرياً بعد قليه فيسمونه الإبسارية[٦٨].

وعلى الرغم من سوء التغذية التى كانت تجعل القرويين عرضة لكثير من الأمراض والأوبئة فقد كانوا أصح أبدانا من أهل المدن إذا كان القرويون أكثر حركة ورياضة فتصلب الرياضة – على حد قول المقريزى – أعوادهم وتقويها[٦٩].

واتسم القرويون بالسذاجة التى يسميها النابلسى "سخف عقل أهل الريف[٧٠]، ووصفوا بالمكر الذى كان فيما يبدو وسيلة لتجنب ظلم رجال الإدارة لهم على مر العصور ومع ذلك لم يسلم القرويون من قدح القادحين وسخرية المستهزئين كالشربينى صاحب هز القحوف إذ يقول : الحاصل أن الفلاح على قسمين : قسم ناجى ناحب وقسم خائن خائب فأما الأول فهو صاحب عقل وسياسة وحسن تصرف ورياسة عقل تدين ملازم للصلاة والدين والزرع والغيط تارك للسنده حيث الحيط، له على جماعته الحماسة متجنب الرزالة والخساسة، يباشر الزرع ويعف عند الحصيدة والقلع ولا يتكل على خولى ولا مرابع ولا يركن لثوار ولا مزارع بل يباشر الأمور كلها ..

وأما القسم الثانى : لا عقل ولا معروف، عريان منتوف ، لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفة، فائق للشر والتفرقة، بالنهار فى لعب المنقلة وبالليل صاحب القبلة، لا يلازم الغيط، يحب اللطعة جنب الحيط، نافش الشوارب، قليل المكاسب، عويل مهدار، سفلا من فشار، إن دخل فى يده فلوس مزقها على العتورة والتيوس[٧١].

لكننا نميل إلى القول إن أهل القرى فى مصر الإسلامية كانوا يغلب عليهم الميل إلى الموادعة والسكينة وقلما يجنحون إلى التمرد والهيج، إلا أن الأمر لم يخل أحيانا من بعض حالات القلاقل والاضطرابات التى كانت لأسباب خراجية – كما سبق أن ذكرنا – كما تعرضت بعض القرى فى مصر الإسلامية لمخاطر أمنية فى بعض الأحيان لم تقتصر فقط على دهم المتسلطين لهم وإنما تعرضوا أيضا لاغارات العصابات المسلحة الذين يدعوهم المسبحى النهابة الجوالة، ويذكر ان أعدادهم تزايدت فى بعض فترات القلاقل والاضطرابات إلى عدة آلاف وعهدت الدولة بالتصدى لهم إلى جماعات من الجند السيارة يقودهم كبار القادة مثل رفق الخادم القائد الفاطمى الملقب "عدة الدولة وعمادها" وقد عهد إليه بملاحقة النهابة الجوالة فى سنة ٤١٤هـ لكنه عجز عن القضاء عليهم فاستبدل بقائد آخر فى سنة ٤١٥هـ هو "سنى الدولة عهد التاهرتى" فلم يستطع هو الآخر أن يردع النهابة الجوالة بل تمادى خطرهم وامتد من الريف حتى هدد الفسطاط نفسها(٧٢).

هكذا كانت بعض ملامح القرية فى مصر الإسلامية ولعلها تشير إلى أن الموضوع من الأهمية بدرجة تستوجب مزيد من البحث والتقصى.

الهوامش

(١) انظر لسان العرب عن معنى القرية والريف فى ماديتهما.

(٢) عبد العال الشامى، مدن الدلتا فى العصر العربى، رسالة دكتوراه ص ٦.

(٣) الاصطخرى : مسالك الممالك، ص ص ٥٠-٥١.

(٤) البكرى : جغرافية مصر ، تحقيق عبد الله الغنيم ، الكويت ١٩٨٠، ص ٩٦.

(٥) ابن جبير : رحلته ص ١٧.

(٦)مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار المجموعة الكمالية ص ٢٣٨.

(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٥٨ ؛ وابن ظهيرة :الفضائل الباهرة ص ١١.

(٨) المقريزى : خطط جـ١ ص ١٣٥ ؛ السيوطى، حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٦.

وابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص ٤٣ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة مصر.

(٩) المقريزى : خطط جـ١ ص ١٣٤.

(١٠) المقريزى : المقفى الكبير، جـ٦ ص ١٦٣.

(١١) شاعت نسبة تاريخ الكنائس والأديرة إلى أبي صالح الأرمنى ولكن الصواب أنه للمؤتمن أبى المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود الذى عاش فى القرن السادس الهجرى / ١٢م.

(١٢) عبد العال الشامى : مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجريين ص ٣٦٦.

(١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان، مادة مصر.

(١٤) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ص ١٣.

(١٥) عبد العال الشامى : المرجع السابق ص ٣٧٦.

(١٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥١.

(١٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٣ ص٤٣.

(١٨) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ١٩٠.

(١٩) الكندى : ولاة مصر، ص ٧٣ ، المقريزى خطط جـ١ ص ١٤٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٨٧، ص ١٣٥، ص ١٤٤.

(٢٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ٢ ص ٢١٥.

(٢١) القزوينى : آثار البلاد، ص ٢٢٠.

(٢٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، حـــ١، ص ٢٣.

(٢٣) عبد اللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار ، ص ١٣٧

(٢٤) ناصر حسرو، سفر نامه، ص ٩٧ ؛ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصـــادية فى عهـــد الفـــاطميين ص ١١٦.

(٢٥) أبو الصلت أميه، الرسالة المصرية (من نوادر المخطوطات) ص ٢٧.

(٢٦) عبد العال الشامى : المرجع السابق ص ٣٦٨.

(٢٧) ابن حوقل، صورة الأرض ص ١٣٢.

(٢٨) الادريسى : نزهة المشتاق، جـــ١ ص ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٢٩) ابن جبير : رحلته، ص ١٧.

(٣٠) المقريزى : إتعاظ الحنفاء ، جـــ٣ ص ٨٨.

(٣١) نفس المصدر ، جـــ٣ ص ٥١٦.

(٣٢) الإدريسى : المصدر السابق جـــ ١ ص ص ٣٣٥.

(٣٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥٢ ؛ محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ص ١٧٨.

(٣٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٥.

(٣٥) ياقوت الحموى : المشترك وضعاً ، ص ١٩٧.

(٣٦) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٣٧) الادريسى : المصدر السابق جـــ١ ، ص ٣٣٠.

(٣٨) عبد اللطيف البغدادى : المصدر السابق ص ٨٧.

(٣٩) المقدسى : المصدر السابق ، ص١٩٥.

(٤٠) راشد البراوى : المرجع السابق، ص ١١٦.

(٤١) ابن فضل الله العمرى . المصدر السابق ص ١٢٣٨ ؛ عبد العال الشامى، المرجع السابق ص ٣٦٥.

(٤٢) راشد البراوى : المرجع السابق ص ١١٦.

(٤٣) ياقوى الحموى · معجم البلدان ، مادة مصر ، القلقشندى · صبح الأعشى ، جـــ٣ ص ١٩٨.

(٤٤) البكرى . المصدر السابق ص ٩٦.

(٤٥) المقريزى : خطط، جـــ١ ص ص ١١١-١١٢.

(٤٦) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٩٧ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـــ١ ص ٣٣.

(٤٧) المقريزى : خطط جـــ١ ص ١١٢.

(٤٨) ناصر خسرو : سفرنامة، ص ٩٧.

(٤٩) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص

(٥٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٥٨.

(٥١) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٥٢) عبد اللطيف البغدادى : المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٥٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٤٠.

(٥٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ص ١٥٠-١٥١.

(٥٥) ناصر خسرو : المصدر السابق ص ٩٧

(٥٦) المقريزى : خطط، جـــ١ ص ٨١.

(٥٧) ابن بطوطة، رحلته ص ٤٧.

(٥٨) النابلسى : لمع القوانين المضيه ص ٦٣.

(٥٩) ناصر خسرو : المصدر السابق ص ١٢١.

(٦٠) البلوى : المصدر السابق ص ١٩٠.

(٦١) النويرى · نهاية الأرب، جـــ٨ ص ٢٦٧.

(٦٢) المقريزى : خطط جـــ ١ ص ١٥٧.

(٦٣) نفس المصدر ، جـــ ١ ص ١٤٩.

(٦٤) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٧٧.

(٦٥) نفس المصدر نفس الصفحة.

(٦٦) البراوى : المرجع السابق ص ص ١١٠-١١٥.

(٦٧) المقريزى : خطط جـ١ ص ٨١.

(٦٨) النويرى : نهاية الأرب، جـ ٨ ص ٢٦٢.

(٦٩) المقريزى : خطط، جـ١، ص ٨١.

(٧٠) النابلسى : المصدر السابق، ص ٦٣.

(٧١) هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف، ص ٢٠١.

(٧٢) المسبحى، أخبار مصر ، ص .